الدولي ضد المعسكر الغربي[٨].

وعندما حاول استرداد «الدّين»، طرق الشقيري باب السفارات السوفياتية في معظم البلدان العربية، لطلب العون، والسماح بفتح مكتب للمنظمة في العاصمة السوفياتية، وبمنح المنظمة عدداً من البعثات؛ لكن جهوده لم تثمر في شيء، وكان جواب موسكو، دائماً، متحفّظاً، ممّا دفع الشقيري الى الاتصال بالصين، وبرّر تحوّله، هذا، بقوله: «لقد طرقت أبواب موسكو أولاً... ولكن الاتحاد السوفياتي لا يوافق على تحرير فلسطين». وعلّل الموقف السوفياتي بتغيّر القيادة في الكرملين، في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٤، وذهاب خروشوف «صاحب المغامرات والمبادرات»[٩].

أيّاً كانت الامور، فقد عاود الشقيري الاتصال بالقادة السوفيات، مغتنماً زيارة قام بها رئيس الوزراء السوفياتي، الكسي كوسيغن، للقاهرة، في ١٩ أيار (مايو) ١٩٦٦. وقد أوجز للأخير مطالب المنظمة لمدّها بالسلاح، والاعتراف بها كحركة تحرّر وطني، وعرض السفر الى موسكو لشرح القضية للمسؤولين هناك. ووعده كوسيغن بنقل مطالبه الى رئاسة مجلس السوفيات الاعلى؛ لكن موسكو لم تستجب لأي من مطالبه، واعتذرت، مبدئياً، عن عدم الموافقة على زيارته، معلّلة الرفض بأن الموقف الدولي صعب، فأدرك ان الصداقة الدولية، كما وصفها لاحقاً، مثل «الفاكهة الموسمية، لا تدوم»، وأيقن ان السياسة السوفياتية ما زالت عند موقفها؛ فاسرائيل «يجب ان تبقى، وتحرير فلسطين غير قائم اطلاقاً، ومنظمة التحرير الفلسطينية ليس لها مكان في السياسة السوفياتية»[١٠].

ترسّبات التوسّع الاقليمي

من المبالغ به، بل من الخطأ، القول ان موسكو لم تأخذ الفلسطينيين في حساباتها في المنطقة، لكنها نشطت، في هذا الشأن، على جبهة أخرى، متتبعة سير النزاع العربي ـ الاسرائيلي، عن كثب، بغية تحقيق بعض النفوذ لدى الحكومات العربية كلّما سنحت الفرصة لذلك[١١]. وبالفعل، فقد اتضح الموقف السوفياتي من المشروع الاسرائيلي لتحويل مجرى نهر الاردن خلال زيارة خروشوف للقاهرة، حيث انتقد هذا المشروع، وأكد، في خطاب القاه في بورسعيد، ان اسرائيل لا تشكّل خطراً على العرب فحسب، بل على العالم أجمع[١٢]. ثمّ تبع ذلك ما يبدو انه صدى لموقف الزعيم السوفياتي، عندما انتقدت أجهزة الاعلام السوفياتية التحويل الاسرائيلي لمجرى نهر الاردن، وهاجمته على أساس تفرّد اسرائيل بالمشروع، والطابع الاستفزازي الذي اكتساه طرحه. ففي برنامج لاذاعة موسكو، باللغة العربية، حملت الاذاعة، في ١٧ حزيران (يونيو) ١٩٦٤، على المشروع، واتهمت اسرائيل بأنها «بدلاً من ايجاد طريقة لحل سلمي لقضية مياه نهر الاردن مع جميع الاطراف المعنيّة، تواصل الدوائر الاسرائيلية سياسة أخرى، لا يمكن وصفها الاّ بأنها سياسة استفزازية»[١٣].

بيد ان اسرائيل ظلّت على اعتقادها بأن التأييد السوفياتي لوجهة النظر العربية لن يصل مرحلة الدعم العسكري، في حال قيام العرب بعمل عسكري مضاد لمنع التحويل. وبهذا المعنى، صرّح رئيس الوزراء الاسرائيلي، ليفي اشكول، في اثناء مناقشة تحويل مجرى نهر الاردن في جلسة الكنيست، بتاريخ ٢٠ تموز (يوليو) ١٩٦٤، بأن «ثمّة مجالاً للأمل في ان الاتحاد السوفياتي لن يشجّع الدول العربية على اللجوء الى الاعمال العدوانية، لمواجهة التحويل، وانه لن يؤيدهم في أعمال كهذه غايتها منع اسرائيل من سحب الحصّة العائدة لها من المياه». وأكد اشكول اعتقاده هذا، مرة أخرى، في تصريح له لصحيفة «معاريف» الاسرائيلية، في السادس من أيلول (سبتمبر) ١٩٦٤، حين قال: «انني اعتقد بأنه، في الاوضاع الراهنة، لن تعمد روسيا الى تأييد تدمير اسرائيل». وأبدى